جوانب من العادات الاجتماعية والأعياد الدينية في مدينة القدس أثناء الحكم الفاطمي
(358 ـ 463هـ/969 ـ 1071م)

د.شادي عواد
جامعة القدس المفتوحة – الخليل – فلسطين

المستخلص:

إن مكانة القدس الدينية وموقعها الاستراتيجي أسهما في زيادة التوافد البشري إليها، سواء لأسباب دينية أو اقتصادية، وهذا التوافد البشري مع ما في المدنية من تنوع بشري، جعلها مدينة استقطاب سكاني، حيث سكنها اقوام من مختلف الامم والاديان، ولقد انقسم سكان مدينة القدس في العهد العثماني الى مسلمين ومسيحين ويهود. شكلت الأوضاع الاجتماعية في مدينة القدس خلال فترة الحكم الفاطمي، أحد أهم المفاصل المهمة في تاريخ العلاقة بين القوى المحلية والسلطة المركزية الفاطمية في مصر، وما حملته معها من إرساء أسس الدور السياسي والوظيفي لبعض التشكيلات السكانية في مدينة القدس. تناول هذا البحث الاوضاع الاجتماعية في مدينة القدس في العهد الفاطمي، من خلال التطرق إلى العادات الاجتماعية وبعض الأعياد الدينية للسكان في مدينة القدس.ومن هنا، فإن البحث يهدف إلى رصد بعض الجوانب الاجتماعية للمجتمع المقدسي إبان الحكم الفاطمي للمدينة، كما يهدف إلى استكشاف أهم المظهر الاجتماعية فيما يخص العادات والتقاليد وكيف اختلفت عنها اليوم، وكذلك معرفة أهم الأعياد الدينية وبعض الاحتفالات الاجتماعية التي كانت تؤخذ الكثير من اهتمام أهالي القدس.إن الهدف من الدراسة هو معالجة جوانب مهمة من الحياة الاجتماعية في ظروف حساسة من تاريخ فلسطين وفي أوقات هامة وهي فترة الحكم الفاطمي خاصة وأنه قد بدأ الغرب الأوروبي في هذه الفترة بالتحضير والتجهيز من أجل مهاجمة المشرق الإسلامي وخاصة فلسطين والمهم في فلسطين هو بيت المقدس، فكان الهدف من هذه الدراسة هو إظهار أن المجتمع الفلسطيني كان مجتمعاً مستقراً جذوره في الأرض له الكثير من الخصائص الاجتماعية المميزة كالعادات والتقاليد والأعياد، كما تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تعالج قضايا اجتماعية ودينية في فترة حساسة من تاريخ فلسطين عامة والقدس خاصة.أظهرت نتائج الدراسة أن العلاقة بين سكان مدينة القدس في العهد الفاطمي قد اتصفت بالترابط الاجتماعي وحسن المعاملة بالرغم من اختلاف العقائد سواء أكانوا مسلمين أو الطوائف المسيحية

أو اليهود. وأظهرت الدراسة أنه انتشرت الكثير من العادات الاجتماعية في مدينة القدس وطرأ عليها عادات لم تكن موجود وإنما جاءت من الفاطميين بقدومهم للمدينة، وكذلك طرأ العديد من الاحتفالات التي لم تكن موجودة في المدينة قبل الحكم الفاطمي كالاحتفال بيوم عاشوراء ويوم الغدير على سبيل المثال لا الحصر.واعتمد الباحث في تكوين الصورة الاجتماعية لطبيعة المجتمع الفلسطيني في الفترة محل الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي القائم على قراءة ما اجتمع للباحث من المصادر الأولية والمراجع بالرغم من قلتها ؛ بحيث جمعت هذه المعلومات، وصنفت ثم درست وحللت ونقدت، وتم أخذ ما كان مناسبًا لسياق الأحداث، وقد اقتبس الباحث ما كان يراه مناسبا لتدعيم الآراء أو ما يمكن أن تقل قيمته بشرحه.

الكلمات المفتاحية: القدس، الفاطمي، فلسطين، العادات، الأعياد، تاريخ، إسلامي.

Abstract:

The religious status of Jerusalem and its strategic location contributed to the increase in human influx, whether for religious or economic reasons, and this human influx, along with the human diversity in the city, made it a city of population polarization, where people from different nations and religions inhabited it, and the residents of the city of Jerusalem were divided during the covenant Ottoman to Muslims, Christians and Jews .The social conditions in the city of Jerusalem during the period of the Fatimid rule constituted one of the most important joints in the history of the relationship between the local forces and the Fatimid central authority in Egypt, and what it carried with it in laying the foundations for the political and functional role of some population formations in the city of Jerusalem. This research dealt with the social conditions in the city of Jerusalem during the Fatimid era, by addressing the social customs and some religious holidays of the population in the city of Jerusalem.Hence, the research aims to monitor some social aspects of the Jerusalem community during the Fatimid rule of the city, and also aims to explore the most important social aspects regarding customs

and traditions and how they differed from them today, as well as knowing the most important religious holidays and some social celebrations that were taken a lot of attention by the people of Jerusalem. The aim of the study is to address important aspects of social life in sensitive circumstances in the history of Palestine and in important times, namely the period of the Fatimid rule, especially since the West began in this period to prepare to attack the Islamic East, especially Palestine, and the most important place in Palestine which is Jerusalem. The aim of this study is to show that the Palestinian society was a stable society with roots in the land with many distinctive social characteristics such as customs, traditions and holidays. The importance of this study also comes in that it deals with social and religious issues in a sensitive period in the history of Palestine in general and Jerusalem in particular. The results of the study showed that the relationship between the residents of Jerusalem in the Fatimid era was characterized by social cohesion and good treatment despite the different beliefs, whether they were Muslims, Christian sects or Jews. The study showed that many social customs spread in the city of Jerusalem and customs that did not exist, but came from the Fatimids when they came to the city, as well as many celebrations that did not exist in the city before the Fatimid rule, such as the celebration of Ashura and Ghadir Day.In forming the social picture of the nature of Palestinian society in the period under study, the researcher relied on the historical-analytical method based on reading what the researcher gathered from the primary sources and references, despite their scarcity. Information was collected, classified, then studied, analyzed and criticized, and what was appropriate for the context of events was taken.

Keywords: Jerusalem, the Fatimid, Palestine, customs, holidays, history, Islamic.

مقدمة:

أقام الفاطميون الخلافة الفاطمية في المغرب (تونس) سنة 297هـ/909م ، أرسل المعز لدين الله قائده الشهير جوهر الصقلي إلى مصر فتمكن من فتحها وضمها للدولة الفاطمية، فأرسل جوهر بدوره القائد الشهير جعفر بن فلاح الكتامي باتجاه بلاد الشام، حيث وصل الى مدينة الرملة وتمكن من السيطرة عليها سنة 358هـ/969م، وبذلك دخلت قواته باقي مدن فلسطين بما فيها مدينة القدس تحت الحكم الفاطمي، قبل ان يتوجه شمالاً للسيطرة على مدينة دمشق سنة 359هـ/969م.

لقدكان الفاطميون على المذهب الفاطمي الإسماعيلي وهو مذهب شيعي، بينما كان أهل فلسطين والقدس مسلمين من أهل السنة. وشهدت هذه الفترة اهتمام خلفاء الدولة الفاطمية بالمدينة المقدسة والتسامح مع أهلها من النصارى واليهود باستثناء فترة الحاكم بأمر الله (أبو علي المنصور بن عبد العزيز الفاطمي)، الذي فرض قيوداً صارمة على أهل الذمة من النصارى واليهود، ففي سنة 398هـ/1009م أوجب على النصارى عند دخولهم الحمامات العامة، أن يجعوا في أعناقهم صلباناً زنة الواحد خمسة أرطال (نحو كيلو غرامين)، على أن يرسلوها متدلية على صدورهم. ورتب على اليهود مثل هذا الحال، على أن يجعلوا في أعناقهم إطاراً من الخشب بالوزن نفسه شدت إليه الأجراس المجلجلة، وأرغم اليهود والنصارى على لبس السواد، ومنعهم من أن يركبوا إلا الحمير. فنلاحظ تقلب سياسته مع أهل الذمة وغيرهم حتى مع المسلمين. وفي هذا البحث سنحاول دراسة بعض الجوانب الاجتماعية من حياة الناس في مدينة القدس ومحيطها خلال الحكم الفاطمي لمدينة القدس (358هـ492-هـ/969م1099-م).

العادات:

عادات الزواج:

تتفق الدول الإسلامية عامة والدول العربية خاصة، في الكثير من الأمور المتعلقة بالعادات والتقاليد وخاصة فيما يتعلق بمراسم الزواج، فما تجده في بلد عربي هو نفسه ما تجده أو تجد ما يتشابه معه في بلد عربي آخر، والمثير للاهتمام أن معظم العادات العربية في الزواج تتفق في الكثير من العادات والمراسم، ولعل هذا التوافق أتى منذ زمن بعيد بسبب التشابه في البيئة العربية والشرقية بشكل عام.

يعتبر الزواج من اهم الروابط الاجتماعية داخل المجتمع الاسلامي، فمن خلاله تُبنى جميع العلاقات بين الرجل والمرأة، وهو الشكل الاساسي

لتكوين الأسرة والمجتمع، ولكن عادات الزواج وتقاليده في فلسطين بشكل عام في العهد الفاطمي كانت تختلف من مكان الى آخر، فنجدها تختلف في المدينة عنها في الأرياف، وتختلف في الأرياف عنها عند البدو وهكذا، ففي المدينة مثلاً تقوم أم العريس وقريباتها بزيارة بيوت بعض الأسر التي يمكن ان تشاهد فيها فتاةً تناسب ولدها، بحيث تكون بمواصفات الزوجة الملائمة حسب العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية المعروفة في المدينة في تلك الحقبة، وكانت النساء تفعل ذلك في المدينة لان المرأة لا تخرج إلا والخمار على وجهها، بحيث تتعذر رؤيتها من قبل الشاب، على العكس من فتاة الأرياف[1].

ففي الأرياف كانت تحدث احياناً لقاءات عفوية بين الفتاة والشاب خلال موسم جني المحصول، حيث تكشف الفتاة خمارها، فيراها الشاب، فإذا استحسنها وأعجبته أعلم والدته، وتناقشا على خطبتها، فتذهب الأم لزيارتها، ثم تتكرر الزيارات بين الأسرتين لأخذ الموافقة على الزواج. وخلال هذه المدة يتم فيها السؤال عن العريس إن كان لائقاً بأن ترتبط به ابنتهم، ويتم الحصول على موافقة عائلة الفتاة، فإذا وجد من العائلة بمعنى الأقارب من يرغب في الزواج منها، تُعطى له، وإن لم يوجد فتتم الموافقة على العريس المتقدم، ثم يرسل والدا العريس جاهة الى أهل الفتاة لخطبتها، وتتكون من أقارب العريس ومعارفه وأصدقاؤه، وبعد الخطبة يتم تحديد المهر بالاتفاق وتبدأ مراسم الزواج[2]. ومن العادات المعروفة في القدس في العهد الفاطمي ان يكون الزواج في سن مبكر، وذلك لاعتقاد الناس السائد في ذلك الوقتأن الزواج المبكر هو العلاج من ناحية جسدية واجتماعية واقتصادية لكلا الجنسين، فكانت الكلمة الشائعة عند الأمهات قولهن لأبنائهن سواء الذكور أو الإناث في الحض على الزواج المبكر (نفسي افرح فيك واشوف أولادك)، وكذا من أمثال هذه الكلمات التي تشجع الشباب على الزواج في سن مبكرة[3].

عندما كان يريد الشاب الفاطمي في القدس الزواج كان يرسل امرأة تدعى الخاطبة، تقوم بعملية تسهيل وإتمام مهمة الخطوبة، حيث كان يسمح لهذه الخاطبة أوالوسيطة بدخول بيوت الناس والاطلاع على الفتيات وأسرارهن، وبالتالي توفق بين العريسين إذا كان هناك انسجام بينهما بعد أخذ رأي الفتاة ووالدها ووالدتها، وأخيراً يقرر الجميع بأهلية العريس أم لا[4]. ومن الجدير ذكرهأنه في غالب حالات الزواج كان الشاب الفاطمي المقدسييختار الفتاة من أسرة مكافئة له من جهة الثروة والأصل، علماً أن الثروة ليست كل شيء في زواج التكافؤ هذا، حيث أنه أحياناً قد يرفض فقير معدم أن يزوج ابنته من ثري، لأن هذا ليس له عراقة الأصل أو أن يرفض والد العريس ان يزوج ابنه من فتاة فقيرة أو ليست من أصول عريقة[5].

وبعد ان تتم الموافقة من كلا الطرفين تأتي المرحلة الثانية من الزواج وهي عقد القران، فكان يفضل الناس ان تتم في المساجد وهناك يحرقون البخور، أو أن يتم عقد القران في المنزل، وكثيراً ما كان المهر يخضع للمساومات بين العائلتين وكثيراً ما كان العريس يشتكي من المهر وارتفاعه وكثرة التكاليف الخاصة بالزواج[6].

كان يخصص جزء من مهر العروس لخالها ويقسم هذا الجزء إذا كان أكثر من خال واحد، وقد عرف هذا بـ (حق الخال). يُعمل للعروس قبل الزفاف بيوم يسمى (الحناء)، فتحضر السيدات من أهل العريس ومعهن الحناء، ويقمن بوضع الحناء على يدي العروس وأحياناً على شعرها، ومن ثم يغنين بعض المقطوعات الخاصة بحفلة الحناء فتتم المهاهاة والزغردة.

أما ليلة الزفاف فكانوا يقيمون فيها وليمة كبيرة للأهل والاصدقاء والجيران والمعارف، فتكون على نفقة والد العريس، ويُرسل جزء من الطعام الى منزل العروس حتى تأكل العروس وأقاربها من الإناث، وبعد ذلك يتم إحياء مراسم العرس، فتتوجه جاهة كبيرة من الرجال من بيت العريس الى بيت العروس وتؤخذ العروس من بيتها على جمل أو فرس مزينة ومزركشة، وتُنقل العروس في جوٍ من الاحتفال الى بيت العريس، وهناك تقام الاحتفالات فيختلط فيها الغناء وضرب الدفوف وزغاريد النساء وتقدم الهدايا الى أصحاب العرس[7].

كان الناس في هذه الافراح يُظهرون الفرح، ويحرصون على ارتداء الملابس الفاخرة، وتتحلى الناس بالمجوهرات الثمينة، وكانت العروس المبرقعة تزف في موكب من الأصحاب والأصدقاء وضاربي الطبول والموسيقيين، فإذا ما أنصرف الناس أمكن للزوج من أن يرفع النقاب عن العروس والتي أصبحت زوجته وأن يتأملها لأول مرة[8]. وأخيراً نلاحظ تشابه كبير بين مراسم الزواج في العهد الفاطمي ومراسم الزواج في القدس في الوقت الحاضر.

عادات الطعام والشراب :

عرف سكان فلسطين أنواعاً متعددة من الأطعمة والمأكولات والمشروبات مثل التمور والعسل والخل والأرز والبقوليات بأنواعها والخضار بأنواعها، وكان سكان القدس يستخدموا أنواعاً مختلفة من التوابل ويضيفوها لأطعمتهم كالفلفل وزيت السمسم وهو ما يُعرف بالسيرج الذي اشتهرت به مدينة القدس، كما أنهم استخدموا السمن البلدي المأخوذ من حليب الأبقار والمواشي وزيت الزيتون مع الطعام، وعرفوا الفواكه المختلفة، أما المشروبات فقد عرف سكان مدينة القدس وفلسطين بشكل عام عدداً من المشروبات مثل الشاي

والقهوة، فكانوا يقضون الكثير منأوقاتهم في بيوت القهوة، كما عرفوا اللبن والحليب والماء المحلى بالسكر والبابونج والشيح والزعتر والكتيلة والزحيف والنعناع والقرنية والميرمية والكثير من الأعشاب البرية التي كانت تستخدم في علاج الكثير من الأمراض[9].

عادة الإيمان بالحسد:

من العادات التي ذكرت بعض المصادر والمراجع العربية والأجنبية أن السكان في مدينة القدس كانوا يؤمنون بها هي عادة الحسد،فيعتقدون أن شخصاً ما يعجبه ما يملكه شخص آخر من أموال أو أولاد أو أملاك أو نساء... الخ، ويؤمنون أن من يتعرض للحسد يصيبه المرض أو الألم او فقدان الأموال او النكد والغم والهم...الخ، وربما يؤدي الحسد لأكثر من ذلك، فربما يؤدي الى زوال المال والجاه والوظيفة ويؤمنون كذلك أن الحسد يؤدي الى إبادة الأموال وفنائها كموت الحيوانات أو فناء الزروع.ومن الملفت للانتباه أن أهالي القدس في العهد الفاطمي آمنوا أن هناك اشخاصاً لديهم مؤشرات تدل على قدرتهم على الحسد، كأن يكونوا اصحاب العيون الزرقاء، وأنهم أكثر الناس قدرة على الحسد، وربما من كان يملك اسنان بينها مساحة دل ذلك على القدرة على الحسد. ومن ناحية أخرى فقد كان السكان في مدينة القدس يتحصنون ضد الحسد بقراءة القرآن والمأثورات وأذكار الصباح والمساء، ولكن إذا أصاب الإنسان بعض الحسد فإنه يتم قراءة القرآن عليه أو تؤخذ قطعة من ملابس الشخص الحاسد ويقومون بحرقها تحت الشخص المحسود[10].

عادة إخفاء النقود:

من العادات التي تلفت نظر الباحث في العصر الفاطمي هي عادة إخفاء النقود. اشترك أصحاب الديانات الثلاث في مدينة القدس في هذه العادة، وأماكن إخفاء النقود، ومعظم الناس كانوا يخفون النقود سواء المعدنية أو الورقية تحت الأرض، وربما يكون الفاطميين قد ورثوا هذه العادة عن أسلافهم. اعتاد أهل القدس أن يخفوا هذه النقود تحت الأرض بعد أن يكونوا قد وضعوها في جرار فخارية كي لا تصلها المياه وبالتالي تتعرض للتلف. ومن الدوافع التي جعلت الناس يخفون هذه النقود خارج المنزل وتحت الأرض فيعود إلى شعورهم بعدم الأمان أن تبقى في المنزل خشية اللصوص وكذلك لكثرة الغارات والمصادرة التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى[11].

عادة النذر:

ومن العادات المهمة والتي اعتاد عليها سكان مدينة القدس في العهد الأيوبي هي عادة النذور. وعادة النذر هذه هي أن يُنذر الإنسان بمعنى

أن يؤخذ على عاتقه وعداً إن حصل شيء هو يحبه أو ينتظره فسيعمل كذا وكذا. فعلى سبيل المثال، تُنذر المرأة إن أطعمها الله ولداً ذكراً فستقوم بذبح الذبائح أو توزيع الحلوى على جميع سكان الحي. وكانت الطوائف المسيحية تقوم بالنذر إلى الكنائس والمعابد والأديرة، وينذرون الزيوت والشموع والبخور، أو يقومون بنقل بعض النباتات الموجودة في جدران الكنيسة إلى بيت المريض لقدسيتها. وعلاوة على ذلك، فإن من العادات الخاصة بعلاج المرض، فقد كان أهل المريض يقومون بتجريح جلده بشفرة حادة حتى يخرج الدم، وإذا لم يُشفى يقومون بكيه بالنار على مكان الألم. وعند الإصابة بجرح فيقومون بتغطية الجرح بعجينة من الغبار الدقيق المخلوط بالماء ويضعونه على الجرح[12].

عادة عين المقذوفات :

وهذه العادة ظلت متوارثة في مدينة القدس طيلة العهود الإسلامية، حيث كان في وادي جهنم والذي يقع بالقرب من عين سلوان عين ما تسمي (نبع العذراء) أو (نبع المقذوفات)، حيث يجري في هذه العين نوع من الاختبار للنساء اللواتي يُتهمن بعدم العفة أو الزنا. فاعتقد الناس أن الزانية والتي تشرب من هذه العين تموت مباشرة، أما إذا كانت بريئة من تهمة الزنا فإنه لا يصيبها أي ضرر أو أذى. وهكذا تثبتأنها بريئة من هذه التهمه الصعبة.

يؤكد مجير الدين الحنبلي في كتابه(الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل)،أن هذه العين كانت تُسمى عين المقذوفات، وهي معروفة منذ زمن طويل عند بني إسرائيل، وكانت المرأة اذا رُميت ثيابها في هذه العين، ثم شربت من مائها حيث ان عملية شرب الماء للمتهم عبارة عن اختبار، فإن شربت ولم يضرها شيء كانت بريئة، وإن كانت غير بريئة ماتت بعد شربها لهذه المياه. ومن الجدير ذكره أن هذه العين تحمل اسم نبع العذراء، وسبب هذه التسمية يعود إلحادثة اتهام السيدة (مريم بنت عمران) عليها السلام بالزنا عندما حملت بسيدنا عيسى عليه السلام، فقد قبلت هذا الاختبار، وشربت من العين وأثبتت أنها بريئة، وبالتالي أصبح هذا النبع يحمل اسمها لغاية اليوم[13].

عادات دفن الموتى:

عرف أهل القدس مصطلح القبور أو الترب وهي المقابر الخاصة بدفن الموتى، وقد انتشرت القبور والتربة والمقامات داخل أسوار مدينة القدس وخارجها، واقتصرت داخل الأسوار على القبور الموجودة في المقامات والزوايا والمدارس والأديرة والكهوف وساحاتها، وغالباً ما تعود لبناة تلك المؤسسات، التي وجدت فيها أو أحد اتباعها أو معلميها أو رجالات العلم والسياسة من

العالم العربي والاسلامي ممن أوصى بأن يدفن في رحاب المسجد الاقصى، أما الترب والمقابر الخارجية فتقع خارج أسوار المدينة، وهي موزعة حسب الطوائف وأصحاب الديانات السماوية الثلاثة[14].

لقد وجد في القدس في العهد الفاطمي عدداً من المقابر الإسلامية والمسيحية، وتقع خارج أسوار المدينة القديمة، ومن أهم المقابر الإسلامية في تلك الفترة والتي لا زالت ماثلة إلى يومنا هذا مقبرة مامىلا، وتقع إلى الغرب بظاهر المدينة وهي أكبر مقابر مدينة القدس، وقد دُفن فيها عدد من الأعيان والعلماء والشهداء. أما المقبرة الأخرى المشهورة في مدينة القدس في العهد الفاطمي فهي مقبرة باب الرحمة، وتقع إلى جانب السور الشرقي من الحرم الشريف، وتعتبر هذه المقبرة أقرب الترب أو المقابر إلى المدينة، وبها قبر شداد بن أوس الأنصاري المشهور وغيره من العلماء والصالحين والأولياء، وتسمى هذه المقبرة أيضاً بالمقبرة الظاهرية، ون المقابر المشهورة في مدينة القدس مقبرة الساهرة وتقع بالقرب من باب الساهرة، وأصل الساهرة الفلاة ووجه الأرض وقيل الأرض العريضة البسيطة، تقع مقبرة الساهرة إلى الشمال من المدينة ويدفن فيها المسلمون، وبها جماعة من الصالحين، والمقبرةمرتفعة على جبل عال، ومن المقابر الأخرى التي كان يستخدمها أهل المدينة مقبرة الشهداء وتقع بالقرب من باب الساهرة إلى الشرق.[15]

كانت مراسم دفن الموتى تتم بسرعة فائقة، إيماناً من قناعة المسلمين بمقولة (كرامة الميت دفنه)، فمجرد خروج روح الميت، تبدأ إجراءات ومراسم دفن الميت، حيث يتجمع أهله وأقاربه ومعارفه وأصدقاؤه وجيرانه، ثم يتم تغسيله حسب الشريعة الإسلامية، ومن ثم يُصلى عليه في المسجد الأقصى، وبعد ذلك يوارى الثرى، وخلال مراسم الجنازة أو التشييع يتم إلقاء موعظة قصيرة، يتكلم فيها الخطيب أو الواعظ عن مناقب الشخص المتوفى أو خطبة وعظ وإرشاد. وبعد الانتهاء من الدفن يقام ما يُسمى ببيت العزاء يستمر مدة ثلاثة أيام يستقبل أهل المتوفى المعزين. ونلاحظ أن هذا يتشابه إلى حد كبير مع ما هو اليوم. وهناك عدد من المقابر المسيحية ومعظمها على جبل صهيون مثل مقبرة الروم الأرثوذكس، ومقبرة اللاتين، ومقبرة البروتستانت، ومقبرة الأرمن، ومن المقابر اليهودية مقبرة واحدة تقع إلى الشرق من سور المدينة في الوادي المعروف بوادي جهنم، وتمتد من الوادي حتى رأس العمود والسفح القبلي من جبل الزيتون، ومنها أربعة مدافن يقصدها اليهود للزيارة وهي قبر أيتالم وقبر يهود شافاط وقبر يعقوب وقبر النبي زكريا عليه السلام.[16]

ومن العادات الأخرى التي تحدث عنها المؤرخون والرحالة أن سكان القدس وفلسطين بشكل عام كانوا يحاولون الترفيه عن أنفسهم فيخرجون في الصباح الباكر، أو في المساء عندما يصبح الجو لطيفاً وتنخفض درجات الحرارة الى البساتين والحقول ويتمشون حول اسوار المدينة وفي حاراتها ويذهبون للصلاة في المسجد الأقصى[17].

الأعياد في مدينة القدس في العهد الفاطمي:

اهتم الفاطميون اهتماماً كبيراً في المناسبات والأعياد، وكانوا يُقدمون فيها الهدايا،وينعمون بالمكافئات والجوائز على ولاتهم وموظفيهم، وخصوصاً من شعروا منهم بالإخلاص والولاء لدولتهم، ومن كان يعمل على الدعاية للمذهب الإسماعيلي وذلك بإقامة الولائم الفخمة في القصور والمساجد، حيث يتم تقديم الأطعمة وأصناف الحلوى، ويدعى لهذا القضاة وكبار الموظفين والقادة وينفقون عليها الأموال الطائلة، ويلبسون في هذه المناسبات أفخر الألبسة. وانتشرت عادة الاحتفال بالأعياد والموالد والمواسم والمناسبات في عهد الفاطميين، وامتد العمل بها في العصور اللاحقة، واحتفل الفاطميون في القدس بفخامة وأبهة تُظهر اهتمامهم بهذه الأعياد. ومن هذه المناسبات الاحتفال بهلال شهر رمضان المبارك في كل عام، حيث تُزين المساجد في مدينة القدس وخاصة المسجد الأقصى، فكانت توقد فيه القناديل طوال الليل من أجل صلاة التراويح، وقيام الليل والاعتكاف والعبادة[18].

لقد عُرف في مدينة القدس عادة التسحير حيث يُسمى من يقوم بإيقاظ الناس من أجل السحور بالمسحراتي. و يقوم بإيقاظهم من أجل تناول طعام السحور استعداداً لصيام اليوم التالي[19]. وقد جرى الاحتفال بليلة النصف من شعبان و ليلة المعراج وهي ليلة السابع والعشرين من رجب، وفي ليلة المولد النبوي الشريف، فكانت مدينة القدس في هذه الأعياد السابقة تلبس حلة العيد القشيبة وتقام فيها الاحتفالات والزينة التي مركزها المسجد الأقصى المبارك[20].

احتفل سكان مدينة القدس في العهد الفاطمي بموسم النبي موسى، حيث يقع مقام النبي موسى في برية القدس على بعد ثلاثين كيلومتراً عن مدينة القدس على طريق أريحا. والذي يعتبر عيداً شعبياً يشترك فيه سكان المدن والقرى الفلسطينية وخاصه من مناطق القدس والخليل[21].

ومن الأعياد الأخرى التي كان يحتفل بها الفاطميون في مدينة القدسعيد رأس السنة الهجرية، وهي من الأعياد الدينية، فاعتاد الفاطميون ان يضربوا نقوداً تذكارية، ويرسلونها الى الولايات ومنها مدينة القدس في الأعياد

الدينيـة، ويعـد الأول مـن شـهر المحـرم معظماًلأنـه غـرة الحـول ومفتتـح السـنة، واعتـاد النـاس أن يتهـادوا فيـه، إلا أن الفاطميـين بالغـوا بالاحتفـال بـرأس السـنة الهجريـة، فكانـوا يعملـون طعامـاً وحلـوى، ويتـم توزيعـه عـلى القـادة والموظفـين مـن أصحـاب الرتـب وأربـاب السـيوف والأقـلام، ويعمـم ذلـك عـلى سـائر النـاس، وقـد احتفلـوا بـه أسـوة بالعباسـيين في بغـداد وسـامراء[22].

ومـن الأعيـاد الأخـرى عيـد الفطـر الـذي يأتـي بعـد انتهـاء شـهر رمضـان مباشرة،ويرجـع الاحتفـال بعيـد الفطـر إلى أيـام سـيدنا محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، فبـدأ الرسـول بصـلاة العيـد بعيـد انتهـاء شـهر رمضـان. ثـم جـرت العـادة أن يخـرج الخليفـة صبـاح يـوم العيـد إلى المسـجد الجامـع للصـلاة بالنـاس، وإلقـاء خطبـة العيـد، وعندمـا يعـود إلى بيتـه يأمـر بمـد السـماط للنـاس، ويسـتعرض الموكـب الـذي يمـر أمامـه، وفيـه الأمـراء والقـواد ومختلـف صنـوف الجنـد بكامـل أسـلحتهم وزينتهـم تتقدمهـم الأعـلام، ويسـتمر النـاس في احتفالاتهـم بالعيـد ثلاثـة أيـام، ويسـمى أول يـوم مـن شـوال –وهـو أول يـوم عيـد الفطـر- يـوم الرحمـة، وقد جـرت العـادة في مدينـة القـدس أن تـوزع الحلـوى والخـيرات كالفطـرة والكسـوة والطعـام، ويتـم اسـتقبال العيـد بملابـس جديـدة.

أمـا عيـد الأضحـى الـذي يأتـي بعـد الانتهـاء مـن أداء فريضـة الحـج فـكان لهـم حصـة كبـيرة مـن الاهتمـام والاحتفـال. ومـن أهـم مظاهـر عيـد الأضحـى وهـو المسـمى بعيـد النحـر ذبـح أعـداد كبيرة مـن الإبـل والغنـم والبقـر، وكان حاكـم المدينة يُطلـق سراح بعـض المحبوسـين. وكان هـذان العيـدان همـا الوحيـدان الكبـيران اللذين كانـا يتـم الاحتفـال بهمـا بالأبهـة الإسـلامية احتفـالاً رسـمياً. ومـن الأعيـاد الدينيـة الأخـرى التـي كان يتـم الاحتفـال بهـا في مدينـة القـدس عيـد المولـد النبـوي الشريف، فكانـوا يحتفلـون بتـلاوة قصـة مولـده، ومناقبـه عليه السـلام، وقصـة بعثهـ وتاريخ السـيرة النبويـة العطـرة. وكذلـك الاحتفـال أيضـاً بعيـد الاسراء والمعـراج ويصـادف في السـابع والعشريـن مـن شـهر رجـب مـن كل عـام والفاطميـون هـم أول مـن احتفـل بهـذا العيـد في القـرن الرابـع الهجـري/ العـاشر الميـلادي[23].

وكانـت خـلال هـذه الاحتفـالات تُقـدم الهدايـا والجوائـز والاطعمـة خاصـة الكعـك والحلويـات، ومـن ناحيةأخـرى، احتفـل بعـض الفاطميـين في مدينـة القـدس بمواليـد الأجـداد عندهـم ومنهـا عـلى سـبيل المثـال مولـد علي بـن أبـي طالـب، وكذلك ذكـرى مولـد فاطمـة الزهـراء، ومولـد كل مـن الحسـن والحسـين ابنـاء عـلي بـن ابـي طالـب، و كذلـك بميـلاد الخليفـة الحاكم،والسـيدة زينـب. ومـن الاحتفـالات الأخـرى التـي أحياهـا الفاطميـون الاحتفـال برؤيـة هـلال رمضـان وبليـالي رمضـان[24].

ومـن الأعيـاد التـي احتفـل بهـا الفاطميـون في مدينـة القـدس في العهـد

الفاطمي أيضاً عيد الحجاج.ويعتبر موسم الحج أعظم مواسم السنة احتفالاً، إذ كانت تتجمع فيه مواكب الحجاج تتقدمها المحامل والطبول. وكان الناس يقيمون الولائم للحجاج، وتقام الحفلات عند عودة الحجاج من مكةالمكرمة بعد انتهاء مراسم الحج،ويقوم الحاجبجلب الهدايا من بلاد الحجاز الى الأقارب والأصدقاء والجيران والأحباب، حيث تتم دعوة المنشدين وينشدون الأناشيد الدينيةمستهلين هذا الاحتفال بتلاوة من القرآن الكريم[25].

أما عيد الغدير الذي كان يحتفل به الفاطميون في المدينة، فهو ذو صلة قوية بنشأة المذهب الشيعي، فهو يعيد الى الأذهان ذكرى وصاية النبي لعلي بن أبي طالب بإمامة المسلمين من بعده في اليوم الثامن من ذي الحجة اثناء حجة الوداع بمكان بمتنمكةوالمدينة يعرف باسم (غديرهم). واعتقد الشيعةأن الرسول أعلن أن علياً عنده بمنزلةهارون من النبي موسى عليه السلام، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم قال (من كنت مولاه فعلي مولاه)،وذلك عندما نزل المسلمون في غديرهم مع رسول الله، وتصادف هذه المناسبة في الثامن والعشرين من ذي الحجة بعد حجة الوداع.وجرت عادة الفاطميين منذ مجيئهم إلى القدس على اتخاذ ذلك اليوم عيداً، فاحتفلوا به لأول مرة سنة 362هـ/ 972م. وكانوا يلبسون فيه كل لبس جديد، ويكثرون من الأعمال الخيرية، وينحرون الذبائح تقرباً الى الله سبحانه وتعالى[26].

أما بالنسبة ليوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من محرم، وكان العرب يحيونه منذ القدم وشاءت الأقدار ان يُقتل الحسين بن علي بن أبي طالب في هذا التاريخ سنه 61هـ/682م، ويعتبر عيداً حزيناً عند الفاطميين، فكانتذكرى هذا اليوم تتعطل فيه الأسواق في مدينة القدس[27].

ومن الاحتفالات الاجتماعية الأخرى التي جرت في مدينة القدس في العهد الفاطمي الاحتفال بعقد القران أو الزواج، فيبادر الناس بالتهنئة وتقديم الهدايا من النقود (الألطاف)إلى أهل العروسين أو إلى العروسين. أما فيما يتعلق بمهور العرائس فقد كان هناك تبايناً في المهور، فمنها ما هو مقبول ومنها ما هو مرتفع[28].

ومن احتفالات أهل القدس في العهد الفاطمي الولادة، فجرت العادة أن تختار المرأة قابلة معينة من أجل مساعدتها في الولادة ويطلق عليها (الداية)،فعندما تلد المرأة إذا كان المولود ذكراً صلَّت القابلة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا كانت أنثى ترضت الداية على فاطمة الزهراء، ثم يتناول أحد أقارب المولود الطفل المعروف عنه بالتدين والتقوى، فيؤذن في أذنه الأذان الشرعي، ومن ثم يتم اختيار اسماً للمولود الجديد، وكان الأهل يفرحون

بالمولد الذكر أكثر من الأنثى[29]. واعتاد الناس على ختانأولادهم في اليوم السابع من الميلاد وتقوم الاحتفالات بهذه المناسبة وتقدم الأطعمة والأشربة ثم يتم تزيين الطفل بالحلي، ويركبوه على دابة في حضن والده ويطوف به في شوارع مدينةالقدس[30].

خاتمة:

كان المجتمع المقدسي الإسلامي متنوع الأجناس والعناصر والطوائف الدينية وغير الدينية، وقد أدى هذا الخليط البشري المتنوع الأصول والدماء واللغات والعادات والتقاليد والمذاهب إلى إكساب الحياة الاجتماعية لوناً خاصاً فريداً، وبخاصة بعد أن استقر المجتمع العربي المقدسي وتوافر له الأمن والأمان.فحفلت الدولة الفاطمية بكثير من العادات والأعياد، وكان الاهتمام بها يتم حسب قواعد معينة وأنظمة محددة. فشهدت مدينة القدس خلال العهد الفاطمي الكثير من الجوانب الاجتماعية والدينية إلا أننا حاولنا التركيز على بعض من العادات والتقاليد والاحتفالات وحاولنا الاقتصار على إيراد بعضها وأهمها تلاشياً للإطالة ومراعاة بطبيعة البحث ومحدودية عدد الكلمات، ولكن حاولت جاهداً أن أضيف صورة واضحة وجلية عن العادات الاجتماعية وبعض الأعياد الدينية خلال العهد الفاطمي.

النتائج:

أظهرت نتائج الدراسة أن العلاقة بين سكان مدينة القدس في العهد الفاطمي قد اتصفت بالترابط الاجتماعي وحسن المعاملة بالرغم من اختلاف العقائد سواء أكانوا مسلمين أو الطوائف المسيحية أو اليهود. وأظهرت الدراسة أنه انتشرت الكثير من العادات الاجتماعية في مدينة القدس وطرأ عليها عادات لم تكن موجود وإنما جاءت من الفاطميين بقدومهم للمدينة، وكذلك طرأ العديد من الاحتفالات التي لم تكن موجودة في المدينة قبل الحكم الفاطمي كالاحتفال بيوم عاشوراء ويوم الغدير على سبيل المثال لا الحصر.

التوصيات:

أوصت الدراسة بما يلي:

- تكثيف ومضاعفة الدراسات والابحاث في مدينة القدس على مر العصور، وذلك لما تتعرض إليه مدينة القدس من حملة شرسة من أجل التهويد.
- اتصفت العلاقة بين سكان المدينة بالترابط الاجتماعي وحسن المعاملة بالرغم من اختلاف العقائد سواء المسلمين أو الطوائف المسيحية أو اليهود.

- انتشرت الكثير من العادات الاجتماعية في مدينة القدس وطرأ عليها عادات لم تكن موجود وإنما استجدت بقدوم الفاطميين.
- طرأ العديد من الاحتفالات الدينية التي لم تكن موجودة في مدينة القدس قبل الحكم الفاطمي كالاحتفال بيوم عاشوراء ويوم الغدير.
- أخذت العادات الاجتماعية في مدينة القدس مكانة القداسة فلا يمكن تجاوزها أو الغاء جزء منها خشية الانتقاد والاتهام بالتقصير.
- لا زال الكثير من العادات الاجتماعية ماثلة إلى اليوم في مدينة القدس مع تغيير أحياناً في بعض المراسم والإجراءات.

المصادر والمراجع:

(1) عقابنة، مرام، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة القدس (1700-1725م)، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، 2015، ص63.

(2) المرجع نفسه، ص63.

(3) اعبيد، وائل عبد الرحمن، القدس في العهدين الفاطمي والأيوبي، ط1، دار مجدلاوي، عمان، 2005، ص179

(4) عاشور، علي، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، مطبعة لجان البيان العربي، القاهرة، 1962، ص120.

(5) البغلي، محمد قنديل، وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص10.

(6) عاشور، علي، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص120.

(7) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر، عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج6، ص257، ج3، ص152-153.

(8) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، نقله إلى العربية، عادل زعيتر، ط3، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1965، ص367.

(9) ابو عواد، ميرفت ، الحياة الادارية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في فلسطين خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين/ السابع والثامن عشر الميلاديين من خلال كتب التراجم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2016، ص144-146.

(10) علي، السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1986، ص261.

(11) Dudley, Charles, In the Levant, Boston : Houghton Osgood And Co. ; Cambridge, 1907, p.198. أنظر أيضاً: السيد،القدس في العصر المملوكي، ص261.

(12) السيد،القدس في العصر المملوكي، ص262.

(13) Dudley, In the Levant, p-98.

(14) جبارة،تيسير واخرون، تاريخ القدس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، 2009، ص245.

(15) شعث، شوقي، القدس الشريف: دراسة تتناول التعريف بالمدينة الاسلامية المقدسة وتاريخها وجغرافيتها وتطورها الاقتصادي من

اقدم العصور حتى الوقت الحاضر، مجلة افاق ثقافية مقدسية، العدد74، 2009، ص 1-113، ص91.

(16) المرجع نفسه، ص 1-113، ص91.

(17) فابري، فيلكس، جولات الراهب فيلكس فابري ورحلاته، ق3، ج38، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في لحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، دمشق، 1998،ص830-857.

(18) الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن (ت927ه/1521م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، مكتبة المحتسب، عمان/الأردن، 1973، ص33. انظر أيضاً: الإمام، رشاد، مدينة القدس في العصر الوسيط، الدار التونسية تونس، 1976، ص174-175.

(19) صالحية، محمد عيسى، رمضان في ليالي العرب، مجلة العربي، شعبان 1403، يونيو 1983، عدد 295، ص59-60.

(20) الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص32.

(21) العسلي،كامل جميل،موسم النبي موسى في فلسطين - تاريخ الموسم والمقام، ط1، الجامعة الاردنية ,عمان، 1990، ص25.

(22) عبد الباقي، أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص91.

(23) محاسنة، محمد ، تاريخ مدينة دمشق خلال العهد الفاطمي، الجامعة الأردنية، عمان، 1993، ص274.

(24) اعبيد، القدس في العهدين الفاطمي والأيوبي، ص173.

(25) المرجع نفسه، ص174.

(26) المرجع نفسه، ص174.

(27) محاسنة، تاريخ مدينة دمشق خلال العهد الفاطمي، ص274.

(28) أبو صافي، سعيد محمد سعيد، مدينة الخليل في العصر المملوكي، ط1، مكتبة دنديس، الخليل، 2002، ص80.

(29) ابن حجر، الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج5، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص405. أنظر أيضاً: عاشور، المجتمع المصري، ص 136.

(30) المقريزي، السلوك، ج7، ص96. أنظر أيضاً: عاشور، المجتمع المصري، ص 136.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

(1) اعبيد، وائل عبد الرحمن، القدس في العهدين الفاطمي والأيوبي، ط1، دار مجدلاوي، عمان، 2005.

(2) الإمام، رشاد، مدينة القدس في العصر الوسيط، الدار التونسية تونس، 1976.

(3) البغلي، محمد قنديل، وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

(4) جبارة، تيسير واخرون، تاريخ القدس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، 2009.

(5) الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن (ت927هـ/1521م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، مكتبة المحتسب، عمان/الأردن، 1973.

(6) ابن حجر، الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج5، دار الجيل، بيروت، د.ت.

(7) شعث، شوقي، القدس الشريف: دراسة تتناول التعريف بالمدينة الاسلامية المقدسة وتاريخها وجغرافيتها وتطورها الاقتصادي من اقدم العصور حتى الوقت الحاضر، مجلة افاق ثقافية مقدسية، العدد74، 2009.

(8) أبو صافي، سعيد محمد سعيد، مدينة الخليل في العصر المملوكي، ط1، مكتبة دنديس، الخليل، 2002.

(9) عاشور، علي، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، مطبعة لجان البيان العربي، القاهرة، 1962.

(10) صالحية، محمد عيسى، رمضان في ليالي العرب، مجلة العربي، شعبان 1403، يونيو 1983.

(11) عبد الباقي، أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991.

(12) العسلي،كامل جميل،موسم النبي موسى في فلسطين - تاريخ الموسم والمقام، ط1، الجامعة الاردنية ,عمان، 1990.

(13) عقابنة، مرام، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة القدس (1700-1725م)، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، 2015.

(14) عـلي، السـيد عـلي، القـدس في العـصر المملوكـي، ط1، دار الفكـر للدراسـات والنـشر، القاهـرة، 1986.
(15) ابـو عـواد، ميرفـت، الحيـاة الاداريـة والثقافيـة والاجتماعيـة والاقتصاديـة في فلسـطين خـلال القرنـين الحـادي والثانـي عـشر الهجريـين/ السـابع والثامـن عـشر الميلاديـين مـن خـلال كتـب التراجـم، رسـالة ماجسـتير، جامعـة النجـاح الوطنيـة، نابلـس، 2016.
(16) فابـري، فيلكـس، جـولات الراهـب فيلكـس فابـري ورحلاتـه، ق3، ج38، وقـع ضمـن الموسـوعة الشـاملة في لحـروب الصليبيـة، ترجمـة سـهيل زكار، ط1، دار الفكـر، دمشـق، 1998.
(17) لوبـون، غوسـتاف، حضـارة العـرب، نقلـه إلى العربيـة، عـادل زعيتر، ط3، دار إحيـاء الكتـب العربية، القاهـرة، 1965.
(18) محاسـنة، محمـد ، تاريـخ مدينـة دمشـق خـلال العهـد الفاطمـي، الجامعـة الأردنيـة، عمـان، 1993.
(19) المقريـزي، السـلوك لمعرفـة دول الملـوك ، تحقيـق محمـد عبـد القادر، عطـا، ط1، دار الكتـب العلمية، بـيروت، 1997.

المراجع الأجنبية:

(1) Dudley, Charles, In the Levant, Boston : Houghton Osgood And Co. ; Cambridge, 1907.